الحياة
AL HAYAT
تجريبي

سوريون يفضلون جحيم الطريق إلى أوروبا على الإقامة في دول الجوار

الإثنين، ١٩ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٥ (٠١:٠٠ - بتوقيت غرينتش)
النسخة: الورقية - دولي

بيروت - رامز انطاكي
آخر تحديث: الإثنين، ١٩ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٥ (٠١:٠٠ - بتوقيت غرينتش)

يمضي الشاب السوري حسان المقيم في لبنان ساعات عديدة كل يوم وهو يتواصل مع صديقه زاهر اللاجئ في ألمانيا، وعبر الرسائل النصية والمكالمات عبر الإنترنت يحاول أن يفهم كل تفاصيل الرحلة من لبنان إلى تركيا فاليونان وصولاً إلى ألمانيا. وإلى جانب ذلك يتابع على نحو دوري صفحة سورية اسمها «كراجات المشنططين» على موقع «فايسبوك» المخصصة لحالات السفر غير الشرعي عبر «التهريب» للوصول إلى بلد اللجوء. يقول حسان، وهو رب أسرة صغيرة، أن فكرة مغادرة لبنان إلى بلد آخر بدأت تراوده منذ إصدار الأمن العام اللبناني قراراً ينظم إقامات السوريين في لبنان ودخولهم إليه مطلع العام الحالي، وهو الأمر الذي يعتبر أنه «شدّد الخناق على اللاجئين» فأمسى تجديد أوراق إقاماتهم أمراً صعباً، وبتواصله مع صديقه زاهر يحاول أن يقيس المخاطر والاحتمالات قبل أن يقدم على أي خطوة، «فالخطأ ممنوع في هذه الرحلة» على حد تعبيره.

لم يكمل الشاب السوري دراسته الجامعية، وهو يعمل في إصلاح البرادات والغسالات، كما لا يوفر أي فرصة للعمل الإضافي، لكنه يشرح أنه بعد 3 سنوات من الإقامة في لبنان تبين له أن الاستقرار المادي أمر صعب المنال، ووصول سورية إلى حالة معقولة من الأمن والسلام حلم تبخر بمرور الزمن، لتأتي أخيراً موجة اللجوء إلى أوروبا، لتدفعه كلها إلى التفكير بأن يحذو حذو صديقه ومواطنيه ويتجه في الرحلة التي صارت معروفة إلى بلد يوفر له ما لم يوفره له بلده والبلدان المجاورة له.

تبدأ الرحلة من لبنان عبر الطائرة نحو تركيا، ثم من تركيا عبر البحر إلى اليونان على نحو غير شرعي، ومن اليونان ينتقل اللاجئ إلى البلد الأوروبي الذي اختاره إما بواسطة وسائل النقل أو حتى سيراً على الأقدام في بعض الحالات، وغالباً ما يقصد السوريون ألمانيا والسويد وهولندا والدنمارك.

الجزء الأول من الرحلة بين لبنان وتركيا آمن وقانوني، أما الجزء الثاني نحو اليونان فهو الأكثر خطورة إذ تجتاز غالبية اللاجئين البحر على متن مراكب صغيرة غير قادرة على مواجهة تقلبات البحر. أما بقية الرحلة فلها أيضاً جوانبها السلبية إذ تعتمد قوات الأمن شدة التعامل والعنف غير المبرر في بعض الحالات وفقاً لشهادات من عبروا هذه الدول.

شاب سوري رفض الكشف عن هويته قال إنه وصل إلى ألمانيا الأسبوع الماضي وكلّفته رحلته من لبنان إلى هناك أقل من 3500 دولار، ويعتبر أنه مبلغ يمكن لغالبية السوريين الراغبين في اللجوء إلى أوروبا تأمينه عبر ادخاره أو استدانته ربما. ويشبّه الشاب الأمر

بالمقامرة، لكن المخاطرة هنا تتعدى المال إلى الحياة نفسها، فكلما انخفضت تكاليف السفر ازدادت المخاطر والصعوبات.

وتقول منى فاضل وهي شابة جامعية سورية تقيم في لبنان، إن البلدان المجاورة لسورية التي استقبلت أعداداً كبيرة من اللاجئين، لا يتوافر فيها عمل يتيح للاجئ تأمين حياة كريمة لنفسه ولعائلته على المدى الطويل، وتستثني من هؤلاء اللاجئين من كان يملك من المال ما يكفي لتأسيس عمله الخاص، وهي تفهم ألا ترغب هذه البلدان بتوفير فرص عمل واستقرار جيدة للسوريين كي لا يتشجعوا على الاستقرار بشكل نهائي حيث هم اليوم.

وفي المقابل يرغب السوري بعد سنوات من الظروف الشديدة الصعوبة في الاستقرار والراحة والعيش الكريم، وتشير فاضل في هذا السياق إلى سفر مواطنين سوريين يعملون في دول عربية منذ سنوات طويلة ويتقاضون رواتب جيدة، إلى أوروبا بغرض اللجوء، وتشرح ذلك بأنه رغبة في ضمان مستقبل أطفالهم والعيش في بلدان تكون لمواطنيها والمقيمين فيها حقوق حقيقية محترمة ومصانة.

كثيرون من السوريين ممن كانوا يعوّلون على استقرار الأمور في بلدهم الأم اقتنعوا بعد سنوات أن الأوضاع تدهورت إلى حد يصعب إصلاحه في المدى المنظور، وحالة اللاجئ غير المستقرة مادياً ومعنوياً ساهمت في مفاقمة الأمر فأمسى المعنيون يفكرون جدياً في تأمين المال اللازم لرحلة يرافقهم فيها خطر الموت، وكثيراً ما يكون الفرد الشاب في العائلة هو المبادر إلى خوض غمار هذه الرحلة على اعتبار أن عمره وبنيته الجسدية يؤهلانه أكثر من غيره للوصول إلى المبتغى حيث يمكنه العمل على جلب عائلته إلى حيث وصل عبر معاملات لم الشمل.

يرفض كميل تعميم صورة اللاجئ الذي يشكل عالة على المجتمع المضيف، فهو وكثيرون من أمثاله «لا يحبون البطالة وهم قادرون على العمل وتأمين معيشتهم بكرامة وشرف»، والشاب الذي استقال من عمله في منظمة دولية تهتم باللاجئين في لبنان يشرح أنه كان يتقاضى راتباً ممتازاً، لكن هم تجديد أوراق الاقامة في لبنان، وعدم استقرار الأحوال السياسية والاقتصادية كلها أمور دفعته للإستقالة والسعي نحو السفر إلى ألمانيا. الأمر الذي يستهجنه كميل هو رفض منحه «فيزا» إلى ألمانيا على رغم حصوله على قبول جامعي هناك لمتابعة دراسته الجامعية العليا، ويردف أن الأمر يبدو وكأنه دفع للسوريين إلى اعتماد الطرق غير الشرعية للوصول إلى هناك.

«نريد أن نكون كسائر البشر، أن لا تكون حقوقنا أحلاماً»، هذه ما تختصر به السيدة التي تنتظر وابنتها انتهاء معاملات لم الشمل لتلحق بزوجها الذي وصل قبل أشهر إلى هولندا، وتكمل حديثها بأن على الدول التي تعتبر متحضرة أن تدفع الكلفة المناسبة باستقبالها اللاجئين مقابل صمتها الذي أوصل الامور إلى الحال التي هم عليها اليوم، على أمل أن يشكّل تدفق اللاجئين السوريين إلى جانب تأمين حياة كريمة لهم، ناقوس خطر يدفع إلى حل حقيقي في سورية.

17